فلسطين لا تقهـــر

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

كنا فى حديث فلسطين يوما ، فأخذ بعضنا يصف ما يبدى الثوار من الجرأة ، والذكاء ، وسعة الحيلة ، وحسن التدبير والحكمة ، وروى فى هذا المعرض قصصا عجيبة ، فهم بالقليل الموجود من السلاح القديم ، يقاومون أمضى الأسلحة الحديثة ، من طيارات ، ودبابات ، ومدافع جبلية ، ومدافع رشاشة ، وليس لهم سيارة واحدة يتنقلون بها ، ولكنهم فى كل مكان ، ويصنعون القنابل بأيديهم ، ويتخذون من أنابيب الماء فوهات مدافع ، ويتخذون خطة الهجوم فى كل حال ، ويتولون الحكم بين الناس ، ويقضون بالعدل ، ويفضون المنازعات ، ويطوون صفحات الخلافات والعداوات القديمة ، ويدخلون المحاكم ، وينحون قضاة الحكومة ويقضون هم فيما هناك ، فينفذ أمرهم ، ولا ينفذ أمر الحكومة ، ويشيرون باتخاذ « المقال » بدلا من الطربوش أو غيره من ألبسة الرأس ، فاذا هو على رأس كل عربى من أبناء البلاد ، ولو كان يصطاف فى مصر أو سورية . وقد زالت هيبة الحكومة ؛ وكفت « محاكم الصلح » عن العمل إلا فى مدن أربع ليس إلا ، وصارت الحكومة الحقيقية هى حكومة الثوار .

وقال أحد الذين كانوا فى المجلس : « إن هذا العجيب ! ولا شك أن بين الثوار كثيرين من المثقفين والمتعلمين ؛ ولكن السواد الأعظم أقرب إلى السذاجة والفطرة ، فكيف تيسر كل هذا لهم ؟ »

فلم يسعنى إلا أن أقول : « إنهم يعملون بوحى الفطرة المستقيمة . وليس عجيبا أن يحسنوا التدبير ، ويحكموا الخطط ، ويضبطوا الأمر ، ويظهروا ذكاء واقتدارا . وهل كان عمر بن الخطاب ، وخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية وأضرابهم من خريجى كمبردج ، وسان سير ، ومن حملة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه ؟ أريد أن أقول إننا لا نتعجب لما ظهر من مواهب العرب بعد ظهور الاسلام ، وما كان من تغلبهم على دولتين كبريين فى ذلك العهد ، وفى آن معا ، فلا محل إذن للتعجب لما قدرت عليه ثورة العرب فى فلسطين حيال دولة كبرى شاكية مستعدة »

والواقع أن فلسطين لم يعد فى الأمكان قهرها وإرغامها على قبول مالا تقبل . ولقد استفزها إلى هذه الثورة المجيدة ظلم أريد بها ولا مثيل له فى التاريخ ، على الأقل فيما أعرف أنا . ويجب أن نذكر أن العرب كانوا حلفاء لبريطانيا وزميلاتها فى الحرب العظمى ، وقد خرجوا على دولة الخلافة يومئذ ، وهى دولتهم ، وأكثرهم مسلمون ، بل كان الثائرون على السلطة العثمانية ، الملتحقون بجيش الثورة العربية ، من المسلمين .

فعلوا ذلك لأنهم طلبوا الحرية ، ونزعوا إلى الاستقلال . وقد عرفت بريطانيا هذا ، ورضيت به ، وشجعتهم عليه ، ووعدتهم بتحقيقه ؛ ولو كانوا يعلمون أنهم سيصيبهم ما أصابهم لما ثاروا ، إذ لا خير ولا معنى لاستبدال نير بنير

وهذا الجيش العربى هو الذى أعان على فتح فلسطين وسورية ، وسلخ البلاد العربية كلها من السلطنة العثمانية . وكان جيش بريطانيا يدخل بلداً بعد بلد ، فيجد الأمور ممهدة ، ويقابل بالترحيب والحفاوة ، لأنه حليف العرب . فماذا كان جزاء العرب؟ مزقت بلادهم كل ممزق ، وأخلفت الوعود كلها ، فلم ينجز الحلفاء للعرب منها واحداً . وما استقلت العراق إلا بثورة ، ولا عقدت المحالفة السورية إلا بثورة بل ثورات ، ومع ذلك لاتزال معلقة لا يعرف ما لها أحد . أما فلسطين فكان خطبها أدهى ، فما اكتفت بريطانيا بالانتداب ، بل رمتها بشعب غريب فتحت له الثغور وقالت له ادخل ، واستول على البلاد ، وأقم لك فيها دولة ، واتخذ منها وطناً . وما كانت البلاد بغير أهل حتى تفعل بريطانيا ذلك ، ولاهى بالأرض الواسعة الرقعة ، العظيمة الخصب ، حتى تحتمل هذا السيل من المهاجرين إليها . وإن اليهود لمضطهدون

فى أنحاء شتى من الأرض ؛ ولكن ماذنب فلسطين ؟ ومن تهكم الحوادث وسخر الأقدار أن ترمي بالهجرة اليهودية والوطن القومى للصهيونى البلاد العربية التى نعم اليهود فى ظل دولتها بالعدل والعطف والحرية كما لم ينعموا فى ظل دولة أخرى، فقد كانوا فى الأمم الأخرى مضطهدين محقرين ، وكان البريطانيون أنفسهم فى القرون الوسطى يعدونهم أنجاساً منبوذين. ونحسب أن اليهود يقرأون روايات وولتر سكوت ! .

فاذا كان الشعب الفلسطيني قد ثار، فله العذر ؛ وإذا كان على قلة عدده وانقطاع المدد عنه ، قد راع الدنيا بثورته الجليلة فلا عجب ، فانه يدافع عن حقله وبيته بأدق المعاني المرفية للفظ الدفاع عن الحوزة ، فان بيته ينسف بالديناميت فيشرد هو وأبناؤه ونساؤه فى الجبال الجرداء ، والسهول الخصبة التى يملكها تقتطع وتوهب للدولة الصهيونية ، فماذا يصنع هذا الشعب غير أن يثور ؟ وماذا يسعه ، وقد ثار ، إلا أن يستبسل ويستميت ؟ إنه موت بموت ، فالموت مع الشرف وبعد الدفاع الكريم إلى الرمق الأخير ، أولى من الموت جوعا فى جبال عارية لا ماء فيها ولاشجر ، هى التى يراد طرد العرب اليها لانشاء الدولة الصهيونية

يضاف إلى هذا أن الغدر الفظيع الذى تنطوى عليه هذه السياسة ، بشعب كان من أقوى الأعوان لبريطانيا فى الحرب العظمى، وأخلصهم لها ، يضاعف عزم الثوار، ويجعلهم أقوى وأجرأ

ومن الجلى أن سياسة الوطن القومى على حساب العرب قد أخفقت ، وأن إنشاء دولة صهيونية فى فلسطين قد ارتد إلى عالم الخيال الذى لا محل له فى عالم الحقائق . ومن الواضح الآن أن على بريطانيا إذا أرادت إمضاء العزم على تقسيم البلاد وإقامة دولة للصهيونية فيها ، أن تجيش الجيوش وتسير الأساطيل لتفتح فلسطين عنوة ، فما يكفى كل مالها هناك الآن من قوة وعتاد . وأوضح من ذلك كله وأجلى حقيقتان أخريان ، فأما الأولى فتلك أن ثورة فلسطين — وهى أعدل ثورة قامت فى الدنيا وأروع ما شهد العالم من مثيلاتها — قد جمعت قلوب العرب فى الأقطار جميعا وألفت بينها ، فهم الآن أمة واحدة وإن كانت دولهم كثرا ، وعلى بريطانيا أن تختار صداقة هذه الأمة أو عداوتها، وعليها أن تقيس قدرة العرب جميعا إلى قدرة فلسطين وحدها ونعتقد أنها تؤثر صداقة العرب ولا تجازف بعداوتهم ولا سيما أنه ليس لها باعث من مصالحها الخاصة الحيوية على اختيار خطة العداء . والعرب يقولون الآن لبريطانيا كما قال ابن الرومى

أمامك فانظر ، أى نهجيك تنهج
طريقان شتى ، مستقيم ، وأعوج

والمستقيم أولى ، وهو الذى سيكون إذا كان علمنا بالانجليز ليس كله خطأ .

والحقيقة الأخرى أن بريطانيا لاتخدم اليهود بهذه السياسة ، وإنما تثير عليهم نعمة العالم العربى والعالم الاسلامى ، وهم أمة لا ينقصها أن يزيد كارهوها . ونحسب أن اليهود قد بدأوا يدركون هذا ، ويفطنون إلى أن السياسة الصهيونية تورثهم عداء هم فى أشد الغنى عنه .

ابراهيم عبد القادر المازنى

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الأديب

ابى العلاء المعرى

طرفة من روائع الأدب العربى فى طريقته ، وفى أسلوبه ، وفى معانيه . وهو الذى قال فيه ناقدو أبى العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة فى القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتى

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

وهو مضبوط بالشكل الكامل ويقع فى قرابة ٥٠٠ صفحة

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة ويباع فى جميع المكاتب الشهيرة